٣- القاعدة:

القاعدة هذا الاسم الذي تردد كثيراً في العقود الأخيرة حتى أصبح حديث القاصي والداني، الكبير والصغير، العالم والجاهل؛ وما ذلك إلا لما بدر منهم من أعمال مشينة، ذهب ضحيتها العديد والعديد من الأرواح البريئة، مسلمين وغير مسلمين، إنه بالطبع تنظيم القاعدة، ذاك التنظيم الذي يعد وليد الفكر الوهابي المتشدد، لكن كيف بدأ هذا التنظيم؟ وكيف كانت نشأته؟ وما أبرز نشاطاته وأعماله التي قام بها؟

أقول: بدأت نشاطات هذا التنظيم في مايو (١٩٨٦ م)، حيث أنشأ الدكتور عبد الله عزام أول معسكر لتدريب المجاهدين العرب، وأطلق عليه اسم (عرين الأسد)، ويعد عزام واحدًا من أهم الذين انخرطوا في جماعة الإخوان المسلمين، وقد كان لحسن البنا أثرٌ بالغٌ في تكوين شخصيته، وقد اتخذ عزام من رسائل البنا منهجًا لتحديد ما تقوم عليه الحركة الإسلامية.

وأثناء عمله بالتدريس في الجامعة الأردنية مارس أنشطة إخوانية فعالة من خلال خطبه التي كان يلقيها، وبعدها بدأ بتجنيد الشباب لصفوف الإخوان قبل أن يغادر إلى السعودية عام (١٩٨١ م) حيث عمل هناك.

وفي أثناء زيارته للحرم المكي التقى آنذاك بواحدٍ من أهم رجال النظام الخاص في جماعة الإخوان المسلمين وهو كمال السنانيري، والذي كان مسئولًا وقتها عن ملف الجهاد في أفغانستان، وفي أثناء اللقاء الذي جمعهما سويا طلب السنانيري من عزام أن يسافر إلى أفغانستان؛ لتمثيل الإخوان المسلمين، واستقطاب الشباب الذي يرغب في الجهاد من أي دولة عربية.

وعلى الفور وافق عزام على مطلب السنانيري، وتم انتدابه للعمل في الجامعة الإسلامية في إسلام أباد في أواخر (١٩٨١م)، ولم تكن مهمة عزام فقط أن يعمل في الجامعة وأن يمثل الإخوان هناك، بل كان مُطالَبا باستغلال الشباب المسلم في بناء كيان كبير ومؤثر، ليس في أفغانستان فقط، بل في كل بقعة من بقاع العالم.

وعندما بدأ في تنفيذ خطته في إبريل (١٩٨٦م) كان عدد الشباب الذين معه لا يتجاوز أصابع اليدين، وسرعان ما وصل عددهم إلى مائة وعشرين في إبريل (١٩٨٧م)، أي بعد تأسيس أول معسكرٍ تدريبي بعام واحد، وقد كان عزام يتابع بنفسه المعارك؛ حتى يتمكن من رؤية السلبيات والعمل على علاجها.

وبعد انسحاب السوفيت من أفغانستان برزت شخصية رجل كان حديثَ العالم في السنوات الأخيرة، ألا وهو أسامه بن لادن، الذي نجده قد اختلف مع صديقه عزام في الناحية العسكرية، فبينما تبنى ابن لادن القيام بعمليات غير عسكرية في مناطق أخرى من العالم، لكن في المقابل كان عزام يريد الاستمرار في التركيز على الحملات العسكرية.

حرب الخليج وبدء العداء مع الولايات المتحدة:

عاد أسامة بن لادن إلى المملكة العربية السعودية ووضع الغزو العراقي الكويت عام (١٩٩٠م) المملكة العربية السعودية وحكامها آل سعود في خطر؛ ففي السعودية أهم حقول النفط، وهي على مقربة من القوات العراقية في الكويت، بالإضافة لدعوة صدام حسين للاتحاد العربي الإسلامي التي يمكن أن تجمع المعارضة الداخلية.

وقد كانت القوات السعودية جيدة التسليح مقارنة بالقوات العراقية، لكنها أقل عددًا،فعرض ابن لادن خدمات مجاهديه على الملك فهد بن عبد العزيز؛ لحماية المملكة العربية السعودية من الجيش العراقي، لكن العاهل السعودي رفض عرض ابن لادن،

واختار بدلا منه السماح للقوات الأمريكية والقوات الحليفة بالانتشار على الأراضي السعودية، وهو ما أثار غضب ابن لادن؛ لإيمانه بأن وجود القوات الأجنبية في أرض الحرمين يعتبر انتهاكا للأراضي المقدسة، وبعد أن انتقد علنًا الحكومة السعودية لإيوائها الجنود الأمريكيين نُفي إلى السودان، وسُحبت منه الجنسية السعودية في ٩ إبريل (١٩٩٤م)، وتبرأت منه عائلته علنًا.

السودان:

بين عامي (١٩٩٢) و(١٩٩٦) ارتكز أسامة بن لادن والقاعدة في السودان بناءً على دعوة من حسن الترابي، وخلال هذه الفترة ساعد ابن لادن الحكومة السودانية، واشترى أو أنشأ العديدمن مؤسسات الأعمال، وأقام معسكراتٍ لتدريب المقاتلين.

كانت نقطة التحول الرئيسية في العلاقات بين الطرفين بعد أن وجّه أسامة بن لادن في عام (١٩٩٣م) انتقاداته اللاذعة للسعودية، بعد دعمها لاتفاقات (أوسلو)، التي وضعت طريق للسلام بين إسرائيل والفلسطينيين.

كان الظواهري وجماعة الجهاد الإسلامي المصري بمثابة النواة لتنظيم القاعدة، ولكنهم اشتركوا أيضًا في عمليات منفصلة ضد الحكومة المصرية، وكانوا أسوأ حظًا في السودان؛ ففي عام (١٩٩٣) قتلت تلميذة صغيرة أسمها شيماء في محاولة فاشلة للجهاد الإسلامي المصري لاغتيال رئيس الوزراء المصري عاطف صدقي، وتحول الرأي العام المصري ضد تفجيرات الجماعات الإسلامية، وألقت الشرطة القبض على أكثر من ٢٨٠ من أعضاء الجهاد وأعدم ستة، وفي عام (١٩٩٥) كانت المحاولة الفاشلة لاغتيال الرئيس المصري السابق حسني مبارك، التي أدت إلى طرد الحكومة السودانية لحركة الجهاد في مايو (١٩٩٦).

اللجوء إلى أفغانستان:

أصبحت أفغانستان فعليًا بلا سلطة حاكمة لمدة سبع سنوات، وعانت من القتال المستمر بين الحلفاء السابقين ومجموعات مختلفة من المجاهدين، وخلال التسعينات بدأت قوة جديدة تظهر وهي حركة طالبان، التي ترجع أصولها إلى طلاب المدارس في أفغانستان، والذين تيتم الكثير منهم من جراء الحرب، وكثير منهم تلقوا تعليمهم في شبكة من المدارس الإسلامية المنتشرة، سواء في قندهار أو مخيمات اللاجئين على الحدود الأفغانية الباكستانية.

ووفقا لأحمد راشد فإن خمسة من قادة طالبان كانوا من خريجي مدرسة واحدة، دار العلوم الحقانية المعروفة أيضًا باسم (جامعة الجهاد)، التي تقع في بلدة صغيرة في أكورا خاتاك قرب بيشاور في باكستان، والتي كان يدرس بها الكثير من اللاجئين الأفغان، كانت هذه المؤسسة تعكس المعتقدات السلفية في تعليمها، ويأتي الكثير من تمويلها من تبرعات خاصة من الأثرياء العرب، الذين يتصل بهم ابن لادن، وهناك أربعة من القيادات البارزة بما فيهم زعيم طالبان الملا محمد عمر مجاهد درسوا في مدرسة مشابهة في قندهار بأفغانستان، وفي وقت لاحق انضم كثير من المجاهدين إلى جانب طالبان لقتال محمد نبي محمدي رئيس حزب الحركة الانقلابية في فترة الغزو الروسي.

وأدى استمرار الاقتتال الداخلي بين الفصائل المختلفة، والفوضى بعد الانسحاب السوفيتي، إلى نمو وتنظيم طالبان، وتوسيع نطاق سيطرتها على أراضي أفغانستان، وأسسوا ما أُطلق عليه (إمارة أفغانستان الإسلامية)، وفي عام (١٩٩٤) احتلت طالبان قندهار، وبعد تحقيق مكاسب إقليمية سريعة احتلت العاصمة كابول في سبتمبر (١٩٩٦).

وبعدما أعلنت السودان أن ابن لادن وجماعته لم يعد مرحب بهم في تلك السنة، وفرت طالبان التي تسيطر على أفغانستان موقعا مثاليا لتنظيم القاعدة لإقامة مقرها، وتمتعت القاعدة بحماية حركة طالبان وبقدر من الشرعية؛ لأنها كانت جزء من وزارة دفاعها، على الرغم من أن باكستان والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة هم فقط من اعترفوا بحركة طالبان كحكومة شرعية في أفغانستان.

تمتعت القاعدة بملاذٍ آمنٍ في أفغانستان التي تسيطر عليها طالبان حتى هزيمة طالبان من قبل مجموعة من القوى المحلية، وشعبة الأنشطة الخاصة شبه العسكرية بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والقوات الخاصة بالجيش الأمريكي، والقوات الجوية في عام (٢٠٠١)، ويعتقد أن أسامة بن لادن وغيره من قادة تنظيم القاعدة لا يزالون في المناطق التي يتعاطف سكانها مع طالبان في أفغانستان، أو في المناطق القبلية على الحدود الباكستانية.

فتاوى ابن لادن للقاعدة:

أعلن تنظيم القاعدة في عام (١٩٩٦) الجهاد لطرد القوات والمصالح الأجنبية من الأراضي الإسلامية، وأصدر ابن لادن فتوى أُعتُبرت إعلانا عاما للحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وبدأ في تركيز موارد القاعدة لمهاجمة الولايات المتحدة ومصالحها، ففي ٢٥ يونيو(١٩٩٦) تم تفجير أبراج الخبر التي تقع في مدينة الخبر في المملكة العربية السعودية؛ مما أسفر عن مقتل ١٩ جندي أمريكي.

وفي ٢٣ فبراير (١٩٩٨) شارك أسامة بن لادن وأيمن الظواهري زعيم الجهاد الإسلامي المصري إلى جانب ثلاثة آخرين من الزعماء الإسلاميين في توقيع وإصدار فتوى تحت اسم الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين أعلنوا فيها :

إن حكم قتل الأمريكيين وحلفائهم مدنيين وعسكريين فرض عين على كل مسلم في كل بلد متى تيسر له ذلك، حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد الحرام من قبضتهم، وحتى تخرج جيوشهم من كل أرض الإسلام، مسلولة الحد، كسيرة الجناح، عاجزة عن تهديد أي مسلم، وذلك وفقا لقول الله تعالى:

"وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً "[1]، وقوله " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ " [2]

هذا بالرغم من عدم امتلاك ابن لادن أو الظواهري المؤهلات العلمية الشرعية لإصدار الفتوى من أي جهة إسلامية، إلا إنهم رفضوا سلطة علماء الدين الذين اعتبروهم خداما لحكام دولهم، وقد ادعى العميل السابق للمخابرات الروسية ألكسندر ليتفينينكو أن المخابرات الروسية دربت الظواهري في معسكر في داغستان قبل ثمانية أشهر من إعلان فتوى عام (١٩٩٨).

[1]- سورة التوبة آية (٣٦) .
[2]- سورة الأنفال آية (٣٩) .

عملياتهم وهجماتهم:

(١٩٩٢م): في يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٩٢ قامت القاعدة بأولى هجماتها الإرهابية بتفجير قنبلتين في عدن، كان هدفها الأول هو فندق موفنبيك، والثاني موقف السيارات التابع لفندق جولدموهر، وكانت تلك التفجيرات محاولة للقضاء على الجنود الأمريكيين وهم في طريقهم إلى الصومال للمشاركة في جهود الإغاثة الدولية للمجاعة.

تفجير مركز التجارة العالمي (١٩٩٣):

في عام ١٩٩٣ استخدم رمزي يوسف شاحنة مفخخة لمهاجمة مركز التجارة العالمي في نيويورك، كان الهجوم يستهدف تدمير أساس البرج الأول، وبالتالي انهياره على البرج الثاني، وبذلك يسقط المجمع بأكمله.

كان يوسف يأمل في قتل ٢٥٠,٠٠٠ شخصا، اهتزت الأبراج وتمايلت، لكن الأساس تماسك، ونجح رمزي في قتل ستة أشخاص فقط، على الرغم من أنه جُرح ١,٠٤٢ آخرون، وتسبب في إلحاق أضرار تُقدر بما يقرب من ٣٠٠ مليون دولار في الممتلكات).

أواخر التسعينات:

أدت عملية تفجير السفارات الأمريكية في نيروبي ودار السلام إلى مقتل أكثر من ٣٠٠ شخص معظمهم من السكان المحليين، وردًا على التفجير أطلق الجيش الأمريكي وابلاً من صواريخ كروز لتدمير موقع للقاعدة في خوست في أفغانستان، لكنه لم يلحق أذىً بشبكة القاعدة.

في أكتوبر (٢٠٠٠)، قام أعضاء من تنظيم القاعدة في اليمن بقصف بالصواريخ على المدمرة "يو أس أس كول" في هجوم انتحاري؛ مما أسفر عن مقتل ١٧ جنديًا أمريكيًا، وتدمير المدمرة وهي في الميناء، وبعد نجاح هذا الهجوم بدأت قيادة القاعدة في التحضير لهجوم على الولايات المتحدة نفسها.

هجمات ١١ سبتمبر:

ونصل إلى أشهر العمليات التي تركت علينا كمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية أثرا سلبيا، وجعلتنا نعيش أياما شديدة الصعوبة؛ خوفا من المتطرفين الأمريكيين الذين جعلوا الإسلام عدوهم الأول وذلك بعد اعتداءات ١١ سبتمبر، التي تُعد أكثر الأعمال الإرهابية تدميرًا في أمريكا وفي تاريخ العالم، والتي أسفرت عن مصرع ما يقرب من ٣,٠٠٠ شخص، حيث اصطدمت طائرتان بأبراج مركز التجارة العالمي، وطائرة ثالثة في وزارة الدفاع الأمريكية، ورابعة استهدفت الكابيتول، لكنها تحطمت في بنسلفانيا.

قامت القاعدة بهذه الهجمات عملاً بفتوى عام ١٩٩٨ الصادرة ضد الولايات المتحدة وحلفائها من جانب القوات العسكرية بقيادة ابن لادن والظواهري وغيرهم، وتشير الدلائل إلى أن الفرق الانتحارية قادها القائد العسكري للقاعدة محمد عطا بالاشتراك مع ابن لادن وأيمن الظواهري وخالد شيخ محمد والحنبلي كمخططين رئيسيين.

أرسل ابن لادن عدة رسائل بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ تشيد بالهجمات وشرح دوافعها نافيًا أي تورط بها، وبرر ابن لادن الهجمات بالمظالم التي يشعر بها كل المسلمين، وبالتصور العام عن أن الولايات المتحدة تقوم بقمع المسلمين.

وبعد في أي دين وأي عقيدة وأي شريعة وأي ضمير إنساني من الممكن أن يتقبل أو يستوعب مثل هذه الأعمال، صحيح أن الإسلام شدد على الجهاد ضد كل مستعمر باغي، لكن أن نزهق أرواحاً ليست لها ذنب من قريب أو من بعيد بحجة أن الإسلام يدعو إلى الجهاد، تلك هي الإساءة العظمى لكل مسلم يدرك شريعته، والمنهج الذي رسمه له المولى سبحانه وتعالى، الذي قال في كتابه العزيز:" مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا " ([1])، وكذا قال عز وجل مخاطباً نبيه: " ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"([2])، هذا النبي الذي قال عنه المولى سبحانه وتعالى: " لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ "(٣)، فننظر كيف كانت أسوتنا حين خرج أسامة بن زيد قائداً لجيش المسلمين، فماذا قال له المصطفى - صلى الله عليه وسلم -: "لا تقتل امرأة ولا شيخا كبيرا ولا مريضا ولا طفلا صغيرا ولا تقطع الشجر ولا تهدم البيوت "، كذلك يحضرني موقف الفاروق - رضي الله عنه - حين جاءه أحد الأشخاص من شعب مصر شاكياً له ابن أميرها عمرو بن العاص الذي جلد ابنا له، فماذا صنع الفاروق؟

لقد قام بإحضار الأمير وابنه، وأمر الابن المضروب بجلد ابن الأمير مثلما فعل معه، ووجه لأمير مصر جملةً خالدةً تستحق أن تُنقش علي قصور الحكام والأمراء، وكل شخص معتقد أنه واصٍ على أفكار وعقول الناس، قال له عمر رضي الله عنه: " متى استعبدت الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا "([4]).

عزيزي القارئ، لقد عشنا صراعًا مريرًا مع بعض وسائل الإعلام الأمريكية، التي استغلت الحدث في تشويه صورة الإسلام، وهنا يأتي دورنا كدعاة أن نصلح من هذه

---

[1]- سورة المائدة آية (٣٢) .
[2]- سورة النحل آية (١٢٥) .
[3]- سورة الأحزاب آية (٢١) .
[4]- كتاب المحن ص (٣١٧).

الصورة في المساجد، والجلسات الخاصة التي تجمعنا بغير المسلمين، ومن خلال سلوكياتنا وسلوك أبنائنا في داخل المدارس ومع أصدقائهم، والحقيقة إنه من فضل الله علينا أنني وزوجي وأولادي قد نجحنا إلى حد بعيد أن نشرح للغير معنى الإسلام، وما يحتويه من شرائع وعقائد، وذلك في محيط البيئة التي نعيش فيها.